مِن نظَريّةِ سُلّم الحَاجَاتِ للدّوافِع..
إلى نَظريّةِ تَدرُّج الحَاجَاتِ حَسبَ مَراحِل النُّمُوّ:

From the theory of the hierarchy of needs for motives.. to the theory of the hierarchy of needs according to the stages of development

عداد حسن

المدرسة العليا للأساتذة بالقبة (الجزائر)

hassanetizi@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2021/03/16 تاريخ القبول: 2022/06/01 تاريخ النشر: 2022/06/01

المُلخّص:

تَهدفُ الدّراسة إلى نَقلِ نَظَريّةِ الحاجَاتِ في الدّوافِع **لأبراهام ماسلو**، الّتي اعتبَرَها عدَدٌ مِن المُختَصّينَ ناقِصَةً، بل خَاطِئةً.. إلى مَجالِ النُّموّ، بِحيثُ يُصبِحُ التّرتِيبُ السُّلّمِيّ لِلحَاجاتِ إنّمَا يُعبّرُ-حسبَ اقتِراحِي- عَن خَصائِص مَراحِل النُّمُوّ.

إنّ مِنَ الانتِقادَاتِ الّتي وُجّهَت لِنظريّة التّدرُّجِ الهَرمِيّ للحاجاتِ، عدَم وُضُوح المَعايِير، وكذَلِك، عَدَم التَّعرُّف على مِصدَاقِيَّة نَتائجِها على صِغَار السِّنّ، فقد أكّدَ **مَاسلو** عَلى تَحقِيقِ إشباعِ حَاجاتِ الذَّاتِ لدَى كِبارِ السِّنّ، أكثرَ مِمَّا عِند الصِّغارِ.

في هذِه الورَقة نَقترحُ ربط مُستَوياتِ سُلّمِ الحَاجاتِ بِنُمُوّ الفردِ عَبر مَراحِلِ حَياتِهِ، مِن الطُّفولة المُبكِرَةِ، إلى مَرحَلةِ التَّمدرُس، فالمُراهَقة، فالكُهُولة، ثُمّ مَرحَلة الشّيخُوخَةِ.. فيَكونُ كُلُّ مُستَوى مِنَ الحَاجَاتِ مُميّزًا لمرحَلَةٍ مِن مَراحِلِ نُمُوّ الكَائِن البَشرِيّ، باعتِبَارِهِ خَاصِّيّةً بَارزةً لَها. وبعِبَارَةٍ أخرى، فإنّنَا نُلاحِظُ أنَّ تَدرُّج الحاجَاتِ مَجَالُهُ الزَّمَنِيُّ هُو العُمرُ كُلُّهُ، فلا يَشتَرَطُ تلبيَةُ حَاجاتِ مُستَوى مُعيَّنٍ بالقَدرِ الكَافِي للانتِقَالِ إلى المُستَوى المُوالِي. فَتُعَدّلُ

بِذلكَ نَظرِيّةُ التّرتيب السُلّمِي للحَاجَاتِ **لماسلُو** مُتَجَاوِزةً - حسبَ ما يُتوقَّعُ- كُلّ الانتِقادات الّتي وُجّهَت إليهَا.

هذا التعديلُ المُقترَح، يُقدّم لأهل الاختصاص، لنَرى هل سَتصمُدُ النَّظرِيّةُ أمامَ النّقدِ الّذِي يُوجّهُ لهَا، حِينَ نَطرَحُها باعتِبَارها نَظرِيّةً لِسُلّم الحَاجاتِ حسْبَ مَراحِل النُّموّ، لِدَحضِهَا مِن الأسَاسِ، أو اقتِراح تَعدِيلاتٍ، أو قبولها كما طُرِحَت.

Abstract

The study aims to transfer the theory of needs in motives by Abraham Maslow, which was considered by a number of specialists to be deficient, but wrong ... to the field of growth, in a way that the ordering of the trauma becomes a problem. Among the criticisms directed at the theory of the hierarchy are the lack of clarity of the standards, as well as the lack of recognition of the validity of its results on young people. In this paper we propose to link the levels of the individual ladder needs to grow through the stages of his life, from early childhood, to the stage of schooling, adolescence, middle age, then aging .. shall each level of needs for a special stage of the growth of the human being, as a prominent feature. In other words, we note that the scale of needs in the span of time is the whole lifetime, so it is not necessary to satisfy the needs of a certain level by the extent sufficient for the transition. Thus, the theory of the peaceful arrangement of the needs of Maslow is modified, surpassing - as expected - all the criticisms directed at it. This proposed amendment is presented to the specialists, so that we can see whether the theory will stand up to the criticism that is directed towards it, when we present it as a theory of the scale of needs, according to the stages of development, as well as its proposition according to the stages of development.

1- مُشكلة البحث:

تَتمثَّلُ في نَقلِ نَظَرِيّةِ الحاجَاتِ في الدّوافِع **لأبراهام ماسلو**(1908-1970)، الّتي اعتبَرَها عدَدٌ مِن المُختَصّينَ ناقِصَةً، بل خَاطِئةً.. بِكُلّ مُكوّنَاتِها إلى مَجالِ النُّموّ، بِحيثُ يُصبِحُ

التّرتِيبُ السُّلّمِيّ لِلحَاجاتِ إنّمَا يُعبّرُ-حسبَ اقتِراحِي- عَن خَصائِص مَراحِل النُّمُوّ. وأنَّ كُلَّ مَرحَلةٍ مِن مَراحِلِ النُّمُوّ تُميّزُها صِنفُ حَاجَاتٍ غالِبَةٍ، فَنجمَعُ بَينَ تَدَرُّج الحَاجَاتِ باعتِبارِها محَفّزة للدَّافِعيةِ ومَرَاحِلِ النُّمُوّ.

كانَ **ماسلُو** خِلال حَياتِهِ العِلمِيّة يَبحثُ فِي مَوضُوعِ الشَّخصِيّة، وكَرّسَ مُعظَمَ الوَقت جُهُودَهُ، ليُسلّطَ الضَّوء عَلى النَّظريَّة الّتِي اقتَرحَها لِتفسِير الدَّافِعيّةِ عِندَ الإنسَان، وتَطْويرِها. وقد سَبقَت الإشَارةُ إلى أنَّ مِنَ الانتِقادَاتِ الّتي وُجّهَت لِنظريّة التّدرُّج الهَرمِيّ عدَم وُضُوح المَعايِير، وكذَلِك، عَدَم التَّعرُّف على مِصدَاقِيَّة نَتائجِها على صِغَار السِّنّ، فقد أكّدَ **مَاسلو** عَلى تَحقِيقِ إشباعِ حَاجاتِ الذَّاتِ لدَى كِبارِ السِّنّ، أكثرَ مِمَّا عِند الصِّغارِ (الغمري إبراهِيم 1975، 185)، (بغول زُهير وعَطوي سَعد الدّين 2017، 23).

ويُمكِنُ القَولُ أنَّ النظريّةَ بِغَضّ النّظرِ عَن خَطئِها، في نَظر النّقّاد (ليُوري، آلان 2015 Lieury, Alin، 334)، فإنّهَا بالشّكلِ الّذي طُرِحَت بهِ، والنّاجِم عَن تأمُّلاتٍ عَميقَةٍ - بِالتّأكِيد- للبَاحِث **ماسلُو**، وعَن دِراسَتِه لِلسِّيَر والسِّيَر الذَّاتِيّةِ لمَجمُوعةٍ مِن رجَالِ السِّيَاسَةِ والفَلاسِفَةِ الّذِين اعتَبرَ أنّهُم وصَلُوا إلى تَحقِيقِ ذَواتِهم، تَتمَيّزُ بالفَعالِيّة. وكما يُشيرُ المُفكّرُ **مالك بن نبِي** (1905-1973) في حَديثِهِ عَن عَالَم الأفكَار، فإنَّ الفِكرةَ قد تَكونُ صَحيحَةً تنقُصُها الفَعالِيّةُ، وقَد تكُونُ فَعّالةً ولكِنّهَا تَفتَقِدُ للصِّحَّةِ (طبعة 2001، 102-110). تَكمُن هذِه الفَعالِيّةُ -أساسًا- في أنّهَا طَوّرَت النَّظرَةَ إلى فِكرةِ الدَّافِع نَفسِهَا، وفسَحَت المَجالَ للبَحثِ المُوَسّعِ والمُتعَدّد لهَذَا المَفهُومِ في عِلم النَّفسِ الحَديثِ، فلَم تعُد النّظرةُ للدَّافِعِ مَحصُورَةً في دافِعٍ واحدٍ (اقتِصَادِي أو اجتِمَاعِيّ)، بل توَسّعَت إلى تَشكِيلةٍ مِن الدَّوافِع الّتي تُحرّكُ الفَردَ في حَياتِه ومِهنَتِه.

ولكِن، ما القَولُ لو اقتَرحنَا ارتِباط مُستَوياتِ سُلّمِ الحَاجاتِ بِنُمُوّ الفردِ عَبر مَراحِلِ حَياتِهِ، مِن الطُّفولة المُبكِرَةِ، إلى مَرحَلةِ التَّمدرُس، فالمُراهَقة، فالكُهُولة، ثُمّ مَرحَلة الشّيخُوخَةِ؟ فيَكونُ كُلُّ مُستَوى مِنَ الحَاجَاتِ مُميّزًا لمرحَلَةٍ مِن مَراحِلِ نُمُوّ الكَائِن البَشرِيّ، باعتِبَارِهِ خَاصِّيّةً بَارزةً لَها. وبعِبَارَةٍ أخرَى، فإنّنَا نُلاحِظُ أنَّ تَدرُّج الحاجَاتِ مَجَالُهُ الزَّمَنِيُّ هُو العُمرُ كُلُّهُ، فلا يَشتَرَطُ تلبيَةُ حَاجاتِ مُستَوى مُعيَّنٍ بالقَدرِ الكَافِي للانتِقَالِ إلى

المُستَوى المُوالِي، وكذَلك، ليسَ يَهُمُّ بعدَ هذَا أن تَكونَ هذِه الحَاجَاتُ مَحصُورَةً في نَشَاطٍ مِهنِيّ بِمُؤَسَّسةٍ ما. فَتُعَدّلُ بِذلكَ نَظرِيّةُ التّرتيب السُلّمِي للحَاجَاتِ **لماسلُو** مُتَجَاوِزةً - حسبَ ما يُتوقَّعُ- كُلّ الانتِقادات الّتي وُجّهَت إليهَا، والّتِي اعتَبَرَتها بهَذا الطَّرحِ "خَاطِئَةً"، و"لا تَصمُدُ أمَام التّمحِيصِ العِلمِيّ"، وأنّ " النّموذَج يَظهرُ اليَومَ ناقِصًا"، لأنَّ " التَّمثِيل النّظَرِيّ لمْ يَثبُت أمامَ التَّحليلِ التّجريبِيّ". واعتُبِرت "غَير دقِيقَة" و"لا شَامِلة" و"لا عَالميّة"، و"مُتهاوِية". وحتّى لا يَبقى الأستاذُ في علم النَّفسِ غَير مُرتاحٍ، وهو يُدَرّسُ للطّلَبةِ، ويُشرفُ على بُحوثِهم في تَطبِيقَاتِ نظَرِيّةِ **ماسلُو**، وقد وُجّهَت لها كُلّ هَذِه الانتِقاداتُ..

فَهذِه فُرصَةٌ للنَّظرِ فِيما إذَا كانَت النَّظرِيّةُ سَتصمُدُ أمامَ النّقدِ الّذِي يُوجّهُ لهَا مِن أهلِ الخِبرَة، حِينَ نَطرَحُها باعتِبَارها نَظرِيّةً لِسُلّم الحَاجاتِ حسْبَ مَراحِل النُّموّ، لِدَحضِهَا مِن الأسَاسِ، أو اقتِراح تَعدِيلاتٍ، بَعِيدًا عَن الّذِين يُسارِعونَ في الحُكمِ بالرَّفضِ على مَا لم يَألَفُوا، وما ليْسَ لَهُم بِه عِلمٌ، أو يَحتَجُّون - بدُونِ حُجّةٍ- على ما يَعلمُونَ أنّهُ أقرَبُ إلى الحَقّ، كَما تمَسّكَ عبَدَةُ الأوثَان بِعِبَادَتِهم إيَّاهَا، لمُجَرّدِ أنّها مِن تقَاليد الآباءِ السَّالِفين الّتي لا يَحيدُونَ عَنهَا (وجَدْنَا آباءَنا كَذلكَ يَفعَلُونَ) سُورة الشعراء، الآية 74، فيَعمِدُوا إلى مَعاوِل الهَدمِ لِصَرحِ الحقَائقِ البَيّناتِ. وكمَا أنّهُ لا أوثانَ فِي العبَادةِ، فكذَلِك لا أوثانَ في العِلمِ. وتَبقَى النَّظرِيَّةُ نظَرِيّةً، و بابُ الاجتِهادِ مَفتوحًا لِأهلِهِ مِن أصحَابِ الاختِصَاص.. وقد أشارَ **ماسلو** -كما سَيأتِي- أنّ مِن خَصائِصِ الّذينَ حقَّقُوا ذَوَاتِهم؛ عدَمُ الاستِسْلام للعَادَةِ، ولا أخْذُ الأمُورَ كمُسَلَّمَاتٍ، مهْمَا طالَ احتِكاكُهم بِها، فرُؤيتُهم وتقدِيرُهم في تَجدُّدٍ مُستمِرّ، دُونَ نمَطِيّةٍ جَامِدةٍ. ونَذكُرُ فِي هَذا السّيَاقِ مَقُولةً **لمَاسْلو** نَفسِهِ: «إذَا كانَت المِطرَقَةُ هِي الأدَاةُ الوَحِيدةُ في يَدِ الشَّخصِ، فلاَ بُدَّ أن يُعامِلَ ما حَولَهُ عَلى أنّهُم مَسَامِير » .

2- دِراسَات سابِقَة:

إنَّ مِثلَ هذَا النَّوع مِن الانتقادِ والتّمحِيصِ للنّظَرِيّاتِ مَوجُودٌ.. ومِن ذَلك، إشارةٌ مُقتَضَبةٌ **للزّيود** 1998 أنَّ **دُولارد وميللر** انتَقَدا نَظرِيّةَ الإرشادِ التَّربَويّ **لكارل روجرز**

(1902-1987) ، واعتبرَا أنَّ الأوْلى أن تَكُونَ نَظرِيَّةَ تَعلُّمٍ، لأنَّها -حَسبَهُما- تتَحدَّثُ عن النُّضجِ النَّفسِيّ (انظُر الزّيُود، 1998، ص 209).

كمَا تَناوَل **بغول زُهير وعَطوي سعد الدّين** 2017 نَظريَّتَين في مَجَالَين مُختلِفَين **لمُعالَجةِ** ظاهِرةٍ واحِدَةٍ؛ الدّافِعيّة، مُعتَبِرَين ذَلِكَ دَليلاً على أنَّ الظَّواهِر السّيكولُوجِيّة والاجتِماعِيّة يُمكنُ دِراسَتُها مِن عِدَّة جَوانِب، الأمرُ الَّذِي يُثري هَذهِ المُتغيّرات بالتُّرَاثِ العِلمِيّ، ومِن زوَايا مُختَلفةٍ. فتفسِيرُ ظَاهرةٍ مُعيَّنةٍ بِنظَرِيّتَين، وتفْسِيرُ الواحِدَة مِنهُما بالأُخرَى يَهدِفُ إلى سَدِّ جَوانِب القُصُور وتكمِلَة النظَرِيّتين لبَعضِهِمَا.. فَنظرِيَّاتُ الدّافِعيّةِ لا تَخلُو مِن جَوانِب الفَرَاغ والمَآخِذ.

تطَرقَّ الباحِثَان إلى نظَرِيّةٍ في مَجَال فِيزيولوجْيَا الأعصَاب تُسمَّى نظَرِيَّة **العَقل الثُّلاثي** للطّبِيب الأمرِيكِي **بُول مكلِين**، حَيثُ تبَيَّنَ لهُمَا أنّها امْتِدادٌ فِيزْيُولوجِيّ لنَظرِيَّةِ تدرُّج الحَاجاتِ **لِماسلُو**. فإذَا كانَت هذِه الأخِيرة تفسِّرُ الدّافِعيَّة مِن وِجهَةِ نظَرٍ سِيكُولوجِيَّة، فإنَّ نَظرِيَّةَ العَقلِ الثُّلاثِي تُفسِّرُ الدّافعِيّةَ والسُّلوك الإنسَانِيّ مِن وِجهَةِ نظَرٍ فِيزيو-عَصبِيَّةٍ. فالمَقالُ يَهدِفُ إلى تَوضِيح العَلاقة بيْنَ النَّظرِيَّتين ومَدى تَطابُقِهما في تَفسِير الدَّافِعيّة باعتِمَاد المَنهَجِ الوَصفِي المُقارَن. واعتبَرَ الباحِثانِ النّقدَ الّذِي يُوجَّه لهَذِه النَّظرِيَّات، بمَثابةِ نُقطةِ انطِلاقٍ لإعادَةِ البَحثِ للوُصولِ إلى النِّقَاط الّتِي لَم تَصِلهَا هَذهِ النظرِيَّاتُ، وكَذا إيجَاد الأجوبَة العِلمِيّة للانتِقادَاتِ والمَآخِذ المُوجَّهَةِ لهَا (بغول زُهير وعَطوي سَعْد الدّين 2017 ص 24).

ويُنظَرُ للتَّحليل النَّفسِي بِوَصفهِ نَظرِيّةً في الشَّخصِيَّةِ، ونَظرِيَّةً في النُّموّ النَّفسِيّ، وطَريقةً في عِلاجِ الأمرَاض النَّفسِيَّةِ واضطِرابَات الشَّخصِيَّةِ.

ونحنُ نُحاولُ أن نَستَخرجَ ما يُؤَيّدُ ما ذهَبنَا إليهِ مِن أنّ نظرِيَّة **ماسلُو** تَصلُح لِأنْ تكُونَ **نَظرِيّةً للحَاجاتِ التي تثيرُ الدَّافِعيةَ، حسبَ مَراحِلِ النُّمُوّ.**

3- تَعريفُ النّظَرِيّة، وشُروطُهَا ووَظَائِفُها:

1.3 النَّظرِيَّـةُ:

تَعدَّدَت التَعارِيفُ لمَفهُوم النَّظرِيَّة، تبعًا لمَجالِ إنتَاجِهَا واستِعمَالاتِها، ونَذكُرُ مِنهَا ما يَلِي:

" هِي نَسَقٌ فِكريٌّ استنبَاطِيٌّ مُتّسِقٌ حوْلَ ظاهِرةٍ أو مَجمُوعةِ ظوَاهِر مُتَجانِسَةٍ، بِحيثُ يَحتَوي النَّسَقُ على إطَارٍ تَصوُّريّ ومَفهُوماتٍ وقَضَايَا نَظَرِيّةٍ، تُوضِّحُ العَلاقَةَ بَينَ الوَقائِع وتنظِيمها بِطريقَةٍ دَالّةٍ وذَاتِ مَعنى. كمَا أنّهَا ذَاتُ بُعدٍ تَنبُّوئِي يُسَاعِدُ علَى فَهمِ مُستَقبَل الظَّاهِرةِ، ولَو مِن خِلالِ تَعمِيماتٍ احتِمَالِيّة " (عَبد البَاسِط، 1998 . 10).

ويُعرِّفُها **تُومَاس وُود** (1892–1950) Thomas Wood بِأنّهَا: " نَسَقٌ مَنطِقِيّ استِنباطِيّ، استِقرَائيّ يتكَوّنُ مِن مَفاهيمَ وتَعرِيفاتٍ وافتِراضَاتٍ، تُعبِّرُ عَن عَلاقاتٍ بَينَ وَجهَينِ أو أكثَرَ مِن أوجُه الظّاهِرةِ. ويُمكِنُ أن يُشتَقَّ منهَا فَرضِيّاتٌ، يُمكِنُ التّحقُّق مِن صِحّتِها أو خَطئِهَا (ابراهِيم عِيسَى عُثمان، 2008 .16).

ومِن جَانبٍ آخَر، يُشِير باحِثونَ إلى استِحالَةِ إجرَاءِ مُلَاحظَةٍ حِياديَّةٍ سَاذجَة، فيرَى **إيمَانويل كَانط** E. Kant 1787 أنَّ مُلاحَظاتِنا لا يُمكِنُ أن نُجرِّبَها بِشَكلٍ صدفَوي ودُون أيّ مُخطّطٍ مَرسُوم مُسبَقًا، ويقُول **أوغست كونت** Comte, A 1830 أنّه لِخَوضِ مُلاحَظةٍ، يَحتاجُ فِكرُنَا إلى نَظريّةٍ مَا (لورسِي عبد القَادر 2011).

2.3- شُرُوط النّظَرِيَّة:

يَشتَرِطُ المُختَصُّون حسبَ **عبد البَاسط** 1998 للنّظَرِيّة ما يَلِي:

- أن تَكونَ واضِحَةً ودَقيقةً، ومُحدَّدةَ الألفاظِ والمَعانِي والمَضَامِين.
- أن تُعبِّرَ عَمّا تَشتَمِلُ عَليهِ بإيجَازٍ، تَعبيرًا يُوضِّحُ مُكوّناتِها ويُبيِّنُ غَرَضَها عُمومًا، وأهدَافَ كُلِّ مُكوّن خُصوصًا.
- أن تَكُونَ شَامِلةً للجَوانِب الّتِي قَصَد أن تَحتَوي عَلَيْهَا، بِما فيهِ تَحلِيلُ وتَفسيرُ الحَقَائِق المَعنيَّةِ.
- أن تَكُونَ مُتفَرِّدةً فِي مَوضُوعِها ومَشرُوعِها التَّفسِيريّ، فمِمَّا يُضعِفُها، أن تُوجَد نَظريّةٌ أُخرى تتَناولُ المَوضُوعَ نَفسَهُ، وتُفسّرُهُ بالعَوامِل نَفسِها.
- أن تَعتَمِدَ فِي صِياغتِها عَلى دِراسَاتٍ واقِعيّةٍ، وقابِلةٍ للاختِبَار العِلمِيّ.

3.3- **وَظائِفُها:**

يُمكِنُ الإشَارةُ إلى وظَائِف النّظَرِيّةِ، فيما يَلِي:

- تَدعَمُ كُلَّ عِلمٍ في تَحْديدِ هُويّتِهِ ومَواضيعِهِ الرَّئيسِيّةِ، مِمّا يُبرِزُ دَورَهُ المَعرِفِيّ التَّراكُمِيّ. فَهِي مُنطَلَقُ البَاحِث في تَحْديدِ الأبعَادِ والعَلاقَاتِ الّتي يَدرُسُها، وتَحدِيدِ مَيدانِ الدِّراسَةِ.

- تُحفِّزُ عَلى الاسْتِقصَاءِ المُستَقبَلِي. فالبَحثُ لا يَختَبرُ النّظرِيّةَ فحَسْب، بل يَعملُ على إنمَائِها وتَطويرِها، وإضَافَة مُؤثّراتٍ جَديدةٍ لَها. والبَحثُ بدُونِ خَلفِيّةٍ نَظرِيّةٍ، قد يُصبِحُ كَتقريرٍ صُحُفِيّ ذَاتِيّ، يَفتقِرُ لبَراهينَ تَخدُمُ البَحثَ العِلمِيَّ.

- تُؤكّدُ خبرَاتِ البَحثِ العِلمِيّ، فَجَمعُ بيَانَاتٍ بِلا نَظرِيّةٍ مُوجّهةٍ، يُسلِمُنا لبيَانَاتٍ صَمّاءَ، فَاقِدةٍ للوَظيفَةِ والمَعنَى (بن فَرحات فتِيحة، 2011. 164).

ولا بُدَّ أن نُشيرُ إلَى تَصوُّرٍ خَاطِئٍ للنّظَرِيَّةِ أو للنَّماذِج النَّفسِيَّةِ، يَفتَرِضُ أنّ النَّظرِيّةَ - أو النَّموذج- هي حَقائقُ ثَابِتةٌ، فَلو كَانَت كَذلِك لمَا سُمّيَت نَظرِيَّات، وإنَّما هِي مُحاوَلةٌ مِن المُنظِّر يُفسِّرُ بِهَا العلاقةَ بينَ مَجمُوعةٍ مِن العَوامِل المُكوّنَةِ لظَاهِرَةٍ مِن الظَّواهِر، وحِينَما يَجِدُ المُنظِّرُ تَفسِيرًا آخَرَ أوْلَى مِن التَّفسِيراتِ الَّتِي أخذَ بِها أوّلَ مرَّةٍ، يَتجَاوزُها إليهِ، مِمَّا يَراهُ أقدرَ عَلى تَفسِيرِ العَلاقةِ.. ومِمَّن ناقَشَ مَفهُوم النَّظرِيَّة في عِلم النَّفس **هال** و **ليندزي** Hall & Lindsey في كِتابِهِمَا المُميَّز عَن نَظرِيَّاتِ الشَّخصِيَّة، فَذكَرَا أنَّ: « النَّظرِيَّة هِي فَرَضِيّةٌ غَير مُثبّتة، أو تأمُّلٌ (أو تَخمِين) حَولَ الحَقِيقةِ لم يَثبُت بَعدُ.. وفي نَظرِنَا، فالنَّظرِيّاتُ لا تكُونُ حقًّا أو باطِلاً، على الرَّغمِ مِن أنَّ تَطبيقَاتِها أو ما اشتُقَّ مِنها، يُمكنُ أن يكُونَ حقًّا أو باطِلاً.. النَّظرِيّةُ هِي مَجمُوعةٌ مِن الاعتِقادَاتِ يَصُوغُها المُنظِّرُ. فَتصَوُّر النَّظرِيّةِ، يُؤكّدُ أنَّها تَكوينٌ افتِرَاضِي ليسَ مَوجُودًا في الطَّبيعَةِ، ولا المَعلُومَاتِ، ولاَ أيّ عَمليّةٍ مُحَدَّدةٍ أخرَى، يَستطِيعُ مِن خِلالِه البَاحِثُ تَفسِيرَ بَعضِ الظَّواهِر المُعَيَّنةِ.. وهِي بِهَذا، مَفهُومٌ مُتغيّرٌ مُتَطوّرٌ نَامٍ، قَابِلٌ للرَّفضِ والقَبُول. والمُنظِّرُ حِينَما يَختارُ خِيَارًا مُحدَّدًا ليُمثِّلَ الظَّواهِر الَّتِي هُو مُهتمٌّ بِها، فهُوَ في الواقِعِ يُمارسُ حُرّيّةَ الاختِيَار المُبدِعِ (صبيح عَبد الله، 2011. 87- 88).

النّظَرِيّةُ حسبَ **كَارل بُوبر** (1902-1994) Karl Popper تَحظَى بالتَّأييد والثِّقةِ، إذَا نَجحَتْ في مُقَاوَمَةِ الاختِبَاراتِ الأكثَر صَرَامَةً، ولَم تُعوَّض أو تُستَبدَل بنَظرِيّةٍ أكثَر مُلاءَمَةً، ويُحذِّرُ **بوبر** مِن أنَّ النَّظرِيّاتِ الأكثَر أدَاءً ليسَتْ أبدًا نَظريَّاتٍ صَحِيحةً، بل هِي فقَط نَظريَّاتٌ لمْ تُصبِح بَعدُ خَاطِئةً (لورسي عبد القادر، 2011. 33). والمَعرفةُ لا تَكُونُ عِلمًا إلاّ إذَا أمكَنَ التَّحقُّقُ مِنها مِن خِلالِ مَا سَمَّاهُ **بوبر** القَابِلِيَّة للدَّحضِ (falsifiabilité) والتّحَقُّق مِن أيّ قَضِيّةٍ لا يَكونُ بِتَوافُرِ الشَّوَاهِد المُؤَيِّدَةِ – كمَا كانَ يُقَرِّرُهُ مَنهَجُ الاستِقرَاءِ- بل بثَبَاتِهَا أمَامَ الأدِلّةِ الّتي تَنقُضُهَا (عبد الله الصّبيح، 2011 .73).

3- تَدَرُّج الحَاجَاتِ حَسبَ مَراحِل النُّمُوّ:

نُحاوِلُ فيمَا يَلي تَوضِيحَ نَظريّة الدَّوافِع، بِالشَّكلِ الّذِي نَقتَرِحُهُ مِن مَنظُورٍ جَدِيدٍ، تتَدرَّجُ فيهَا الحَاجَاتُ الّتِي اقتَرَحها **ماسلُو**، بِتَحدِيد مَرحَلةٍ مُحَدّدَةٍ لكُلّ صِنفٍ مِنَ الحَاجاتِ، حَسْبَ التّرتِيب الزَّمَني لعُمرِ الإنسَانِ خِلالَ مَراحِلِ نُمُوّهِ، مِن الطُّفولةِ المُبكرةِ، إلى فَترَة التَّمدرُس إلى مَرحَلةِ المُراهَقَةِ والشَّبابِ، ثُمّ الكُهُولة، فَالشَّيخُوخَة. وذلك بحسَبِ آخِر ما توصّلَ إليه **ماسلو** في سنة 1969، أي قَبلَ وَفَاتِهِ بقليلٍ.

1.4- **الحاجَاتُ الفِيزيُولُوجِيّةُ**: Physiological needs

والمَقصُود بِها، الحَاجة إلى الطّعَام، والشَّرابِ، واللّباس، والنَّوم، والرَاحةِ، والمَسكَنِ..

لمّا نطَّلِعُ على الدِّراساتِ الَّتِي تنَاوَلت النُّموّ، فإنّنَا نُلاحظُ أنّ المَرحَلةَ الأولَى مِن النُّموّ تَعكِسُ ما اعتبرَهُ **ماسلُو** المَرحلةَ الأولى (القاعدِية) للحَاجاتِ في نَظرِيّتهِ للدَّوافِع.

والحالُ أنّ **ماسلُو** لم يكُن يدرُس النُّموّ بل الدَّوافِع، ولهَذا كانَت إشارتُه مُقتضَبةً مُختصَرةً، الأمرُ الّذِي يقتَضِيهِ ما يُمكن اعتِبارُه الخَاصّيّةَ البَارِزة للنُّموّ في تِلك المَرحلَة، حيثُ يَرى **اريكسُون** أنَّ هذهِ المَرحلة الأولى مِن نُموّ الأفرَاد؛ مَرحَلةُ الرّضَاعة وتَقدِيم الغِذَاء، تُؤثّر في بِناءِ المَشاعِر الأسَاسِيّة للثِقة وعَدم الثقَة في البِيئة المُحيطَة، كما تُؤثّر في المَراحِل اللّاحِقة.. وهِي تقابلُ المَرحلَة الفمِية عِند فرُويد.. حيثُ يكُون الاعتِمادُ كبيرًا على الوالِدَين -خاصّةً الأُمّ-

في تقدِيم ما يَحتاجُه الطّفلُ، حيثُ يشعُر بالطُّمأنِينةِ إذا توفّرَ لهُ ما يَحتاجُهُ في الوَقتِ المُناسِب، وعِند تَقدِيم ما يَلزمُه، وتلبِيةِ حاجَاتِه المُلِحَّة، فتُعطيهِ الشّعورَ بالثِّقةِ.

يُركّز الباحِثون في هذِه المَرحَلة عَلى النمُوّ الفيزيولُوجيّ، فيُلاحظُون النمُوَّ الجسَدِي الّذِي يَتميّزُ بالسُّرعَةِ، والتَّحكُّم في الجِسم، والتّدرُّب عَلى الحَركَة والمَشْي، والتأثُّر بالأمرَاض، وظُهور الأسنَانِ إيذانًا بالانتِقال مِن الرّضَاعَة إلى الأكْل.

فكفاءَةُ الاتّصال لم تكُن تطوَّرَت بعدُ. وتتَميّزُ انفِعالاتُ الطِّفلِ بأنَّها حَادَّةٌ وعَنِيفةٌ ومُتغيّرة، حَيثُ يَظهرُ التَّهيُّج العَامُّ للمَولُود عِند استِثارته، مَع عدَم وُضوحِ استِجاباتِه الانفِعَاليَّة (أبو جادُو 2000). وهكَذا، يُمكِنُ تَلخِيصُ الخَصائِص المَذكُورة، ووَضعُها تحتَ عُنوَان الحَاجاتِ الفيزيولوجِيّة.

إنّ عدَم إشبَاع الحاجَاتِ والدَّوافِع الأسَاسِيّة الفِيزيولُوجيّة والجِسمِيّة، أو أنَّ مُجرَّد تَهدِيدِ هذِه الحاجَاتِ، يَجعلُ الطِّفلَ يَشعُر بالحِرمَان.. (عَشوي 1992).

ويَدعمُ هَذا التّوجُّهَ لاعتِبَار أنَّ الحَاجَاتِ الفِيزيولُوجِيَّةَ تُميّزُ المَرحَلة الأولَى مِن مَراحِل النُّمُوّ، أن نَنظُر في قائِمَةِ هافيغُورْست Havighurst 1953 لمَطالِب النُّموّ، حَيثُ حَدَّدَ أهمَّ المُهمَّات النَّمائيّة في مَرحَلة الطُّفولَة المُبكرَةِ، فيما يلي:

- تَعلُّم أكْلِ الأطعِمَة الصَّلبَة.
- تَعلُّم الحَبْو ثُمّ المَشْي.
- تعَلُّم ضَبطِ الإخرَاج.
- تعلُّم النُّطق.. وإدرَاك العَالَم المَادّي والجَسدِي مِن حَولِه.

ويُؤدّي الإخفَاقُ فِي تَحقِيق مَطالِب المَرحَلةِ-حَسبَ البَاحِث- إلى الشُّعُور بالتّعَاسَة، وعدَم استِحسَان المُحيط، وإلى صُعوبَة تَحقِيق مَطالِب المَراحِلِ الأُخرَى.

ثُمّ ينتَقِلُ **ماسلُو** إلى الكَلامِ عَن الدَّوافِع النّفسِيّةِ. وهِي حَسبَ نَظرِيَّتِهِ؛ حاجَاتُ الأمْنِ وحاجاتُ الحُبِّ، ثُمّ حاجَاتُ احتِرام أو تَقدِير الذَّات، فَتحقِيقُ الذّاتِ. ويَبدُو وَاضِحًا أنّ

الطِّفلَ لا تَبقَى مَطالِبُهُ مَقتَصِرةً على الحَاجاتِ الفِيزيُولوجِيّة -على أهمّيَّتِها- ولكِنْ، يَنمُو، لِينتَقِلَ إلى طَلَبِ تَلبِيةِ حاجَاتٍ أُخرَى مُتَعلِّقةٍ بالدَّوافِع النّفسِيّةِ.

2.4- **حَاجَاتُ الأمْن**: safety needs

ويُقصَدُ بها -كما سَبَقت الإشَارةُ- السَّلامَةُ مِن التّهدِيد والاعتِداءِ، والحِمايَة مِن العَجز، والحَوادِث والمرَض..

يَرى **ماسلُو** أنّ ضَغط مِثلَ هذِه الحاجَات يُمكنُ أن يَبتَدِيءَ في شَكلِ مَخَاوِف؛ الخَوف مِن المجهُول، ومِن الغُموض، ومِن الفَوضَى واختِلاط الأمُور.. وهِي ما يُمكنُ أن يَحصُلَ للطِّفلِ حينَ يَخافُ مِن الغُرباء والوُجُوهِ غَير المَألُوفةِ، مُعبّرًا عَن ذلك بالصَّدّ، وصَرفِ النَّظر عَن الشّخصِ الجَديدِ عَليهِ، أو البُكَاء فِي حَضرَتِهِ. كمَا يَحصُل أيضًا الخَوفُ مِن فُقدان التّحكُّم في الظُّرُوفِ المُحِيطَةِ.

إنّ إشباعَ الحَاجاتِ الفيزيولُوجيّة يُنمِي في الطِّفل الإحسَاس بِالثّقة الَّذي يُؤدِّي إلى الشُّعور بالأمْنِ.. لكِن، إذَا لم يَتلقَّ استجابةً مِن مُحيطِه (الأُمّ، خصُوصًا) لتَلبِيَة حَاجاتِهِ الأسَاسِيّة، حِينَ يَبكِي مِن الجُوع أو البَلل أو النُّعاس.. وحِين يُعامَلُ بِقلّة المُبالاة أو بقسوةٍ، فإنَّ ذلِك يُؤدِّي إلى شُعورٍ بانعِدَام الثِقةِ. ونُلاحِظُ ذَلك في الانقبَاضِ الّذِي نَجدُه أحْيانًا عِند الطِّفل، وعَدَم الاسترخَاءِ الّذي يَنجُم عَن الشُّعُور بالرَّاحَة النّفسِيّةِ.

إذَا كانَ هَذا الشُّعورُ قويًّا، يُصابُ الطِّفلُ بالخَيبةِ والمَيلِ للانسِحَاب، ويُطوِّر انفِعالَ الخَوف، لمَّا يَطلبُ أمَّهُ، أو يَختبِر تَجربة الألم؛ كخدْشِ وجهِهِ بأظفَار يَديهِ، أو اصطِدَام أطرَافِه بشَيءٍ صلبٍ، كأطرَافِ المَهدِ، وحتَّى الأصوَات المُزعِجة والقَويَّة، فإنَّ فُقدَانَ السّنَدِ والصَّوتَ الحَادّ يُثيرانِ خَوفَ الرَّضِيع. فَكذلِكَ الحَالُ، عِند الاستِجابَات الشَّرطِيّة لظُهُور الحيَواناتِ، إذا صاحَبَها صَوتٌ حادٌّ، كمَا شَرَح السُّلوكيّون، الّذِين يَرَون أنَّ الاستِجاباتِ الشَّرطِيَّة الانفِعالِيّة لا حَاجةَ معَها للوَعي، ولا للتَّصوُّراتِ الذّهنيّة، ولا الحَالاتِ المَعرفِيّة لِتفسِير الخَوف عِند الطِّفل (هيلقار1980، عدّاد 2016-2017، عشوي 1992). ويُمكنُ أن يَحصُلَ ذلِك عِند ظُهور شَخصٍ غَريبٍ عَن الطِّفل.. فهَذهِ خِبرةٌ مُتعلّمَة. وهُنا مَع تطوُّر

الانفِعالات، فإنَّ الحَاجةَ إلى الأمنِ تُصبحُ مُلحَّةً، وتَنقلُ إلى المُستَوى المُوالِي فِي التَّدرُّج الهَرمِيّ لماسلُو.

وحولَ النُّمُوّ الانفِعالِي عِندَ الطِّفل، فِي مَرحَلةِ مَا قَبلَ المَدرَسَةِ، يَذكرُ **زهران**، 1994 ازديَاد الخَوف، الّذي يُقلّلُهُ الشُّعُورُ بالقُدرة على التَّحكُّم في البِيئةِ، كمَا تَزدَادُ مُثِيراتُ الخَوفِ عَددًا وتنَوُّعًا، فَيخَافُ الطِّفلُ بالتّدريجِ مِن الحَيوَاناتِ والظَّلام، والأشبَاحِ، والفَشَل، والمَوتِ، والانفِصَال عَن الوالِدَين..(انظُر أبو جادو 2000، 87).

أمّا اجتِماعِيًّا، فإنّ الطّفلَ لم يَتبَلوَر بَعدُ نُمُوُّه الاجتِمَاعِيّ، حَيثُ يُلاحَظُ أنَّ سُلوكَهُ " يتَّسِمُ بالأنَانِيَّةِ والتَّمَركُزِ حَولَ الذَّاتِ، فلا يَهتَمُّ بالآخَرينُ كثِيرًا، لا بِأقوالِهِم ولا بأفعالِهِم، إلاّ بالقَدرِ الّذِي يَرتَبِطُ بِذاتِهِ.. ويَمِيلُ إلى المُنافَسَةِ الّتِي تَظهَرُ فِي السَّنةِ الثَّالثَةِ، وتَبلُغُ ذِروَتَهَا في الخَامِسَةِ. ويَشُوبُ ذلكَ، بَعضُ السُّلوكاتِ العُدوَانِيّةِ، والشّجار مَع الآخَرينَ" (أبو جادو 2000، 87)..

عِندَ النّظَر في نظريّة **اريكسُون**، فإنَّ وَصْفَ مَرحَلةِ الطُّفولة المُبكرَة (18 شهرًا – 3 أعوام)، يُقابلُ مُستَوى حَاجاتِ الأمنِ عِندَ **ماسْلو**. وهِي مَرحلَةُ " الاستِقلال أو التَّحكُّم الذّاتِي، مُقابل الشَّكّ والخجَل" ، وهِي المَرحلةُ الثَّانِيةُ مِن مَراحِل النُّموّ.. حَيثُ يقُوم الطِّفلُ بتفحُّصِ والدَيْه وبيئتِه ليَعرفَ مَا يُمكنُه السَّيطَرةُ عَليه.

ويُعبَّرُ عَنها باستِكشَافِ العَالَم، حيثُ يَتصَوّرُ أنّ هذَا سَيُقلّلُ مِن مَخاوِف الطِّفل. وكذلِكَ تعلُّم المَشي والكَلام، وإطعَام نفسِه، والضَّبط الذّاتِي فِيما يَخصُّ الإخرَاج والتدرُّب على اسْتِعمَال المِرحَاض.. وهي فُرصَة فيما يرَى **اريكسون** لبِناء التَّحكُّم الذّاتي - دُون فُقدانِ احترَام الذّاتِ - والسَّيطَرة والاستِقلال، واكتِسَاب مَهاراتٍ جَدِيدَة، وتَعلُّم الرّفْض.

فالطِّفلُ الّذِي يَجدُ حُسنَ مُعاملةٍ مِن الوالدَين، يَخرجُ واثقًا مِن نَفسِه، ضَابطًا لهَا، فَخُورًا مُستقِلاً، أكثرَ مِن شُعورِهِ بالشَّكّ والخَجل.. وهُنا يَتجَلّى أهمِّيَّةُ دَوْر الرَّاشدِينَ فِي تَعزيز نُمُوّ استِقلاليّتِه، باتّبَاع أسَالِيب تَنشِئَةٍ مُتوازنةٍ بينَ الحَزم والتّسَامُح.

3.4- **حاجَاتُ الحُبّ والانتِمَاءِ**: belonging needs and love

ويُقصَدُ بِها مَجمُوعةٌ مِن الحَاجاتِ الانفِعَالِيّة ورَبط عَلاقَاتٍ اجتِمَاعِيّةٍ؛ مِثل الحَاجةِ إلى الأُلفَة والعَلاقَةِ الحَمِيمَة مَع شَخصٍ آخَر، والحَاجَة إلى أن يكُونَ عُضوًا فِي عَائلةٍ أو جَماعَةٍ مُنظَّمةٍ، والحَاجة إلى بِيئةٍ وإطار اجتِمَاعِيّ، يَشعُر فِيه الإنسَانُ بالألفةِ؛ مِثل الصَّداقَة أو رُفقَة الحَيّ، أو الأشكَال المُختلِفَة مِن الأنظِمَة والنّشاطَاتِ الاجتِمَاعِيَّة.

ويَبدُو أنَّ المَيلَ للاجتِمَاع لا يُوجَدُ لدَى الكائِناتِ الحَيّة عِندَ المِيلادِ، بَل يَتكوَّنُ بسَببِ تفَاعُل تِلكَ الكَائناتِ بالمُجتَمعِ..

أثبتَت التّجَاربُ أنَّ المَيلَ للاجتِماع لا يَظهرُ لدَى الطِّفل إلاّ فِي نِهايَةِ العامِ الأوَّلِ مِن عُمرِه، ويَقوَى هَذا الشُّعُور فِي سِنّ السَّادِسَة عِندما يَشرَعُ فِي تَكوينِ عَلاقاتٍ مَع زُملائِه في المَدرسَة (عويضَة، كامِل مُحمّد مُحمّد 1996). يَأتِي الطِّفلُ إلى المَدرَسةِ، وقَد اكتَسَبَ نَمَطًا مِن السُّلوك الاجتِماعِيّ نَحوَ الجَماعَةِ. حيثُ تَتميَّزُ مرحلَةُ المَدرَسَةِ الايتِدائِيّةِ بِكَونِها مَرحَلة الصَّداقَاتِ والتَّفاعُل الوَاسِع مَع الرِّفَاقِ، وتَبادُل المَحبَّة والتَّعلُّم والسَّعادَة والسُّرُور (أبو جادو 2000، ص 91).. وتتَّسِعُ دائرةُ هذِه العَلاقاتِ بعدَ سِنّ العاشِرةِ.

والوَاقع، أنَّ الفَردَ يُوسِّعُ دَائِرةَ عَلاقاتِه مَع الآخَرين، ويَزيدُ مِن قُوّة علاقاتِه الاجتِماعِيَّة بِغَيرِه، لأنَّهُ يُشبِع كَثيرًا مِن حَاجاتِه فِي ظلّ هذِه الجَماعَة، فيَشعرُ بالرَّاحَةِ والسُّرُور. أمَّا إذَا امتنَعَت الجَماعَةُ عَن إشبَاعِ حاجَاتِه، فإنّهُ يَبتعِدُ عَنها. غيرَ أنَّ ابتِعادَه عَن الجَمَاعةِ يَحرِمُه مِن إشبَاع حَاجاتِه السَّابِقة، فتتَولّدُ عِندَهُ حَالةُ حُزنٍ وعَدم استِقرَار، تَدفعُه للبَحثِ عَن جَماعَةِ والاندِمَاجِ فِيهَا، لاعتِيَادِه عَلى ذَلِك مُنذُ الصِّغَر (عويضَة، كامِل مُحمَّد مُحمّد 1996). إنّ عدَمَ قُدرَة بعضِ الأطفَالِ على عَيشِ هذِهِ المَرحلَةِ بِخَصائِصِهَا الإيجَابِيّةِ، يَعني أنّهم يُعانُونَ مِن مَشكِلاتٍ تُؤثّرُ سلبًا في شَخصِيّاتِهم وعَطائِهم المَدرَسيّ، ويَحتَاجُونَ إلى مَن يَمُدُّ لهُم يَد المُسَاعَدةِ (أبو جادو 2000، ص91).

نَدعمُ هَذا الكَلام، بما ذَكَر **عشوي** 2003، 141 وهُو يُعلّقُ على سُلّم الحَاجاتِ، حَيثُ رَبطَ بينَ هذِه الحاجَات الاجتِمَاعِيّة ومَرحَلة الطّفُولة والتَّمدرُس، فَيقُول:« ويَبدُو هَذا الدّافِعُ جليًّا في مَرحلَةِ الطُّفولةِ، حيثُ أنَّ الحِرمانَ العَاطِفيّ الّذِي يُعانِيه طفلٌ ما، قَد يُحدِثُ

لهُ اضطِرَاباتٍ سُلوكِيّة، فقَد لاحَظنَا أنّ أفرَادَ (الطّفولة المُسعَفَة) يُعانُونَ اضطِرابَاتٍ مَعرفِيّةٍ ووُجدَانِيّة..» ويُؤكّدُ مَا ذهَبنا إلَيه مِن كَون هذِه النَّظريَّة تفسّرُ - مِن خِلال الحَاجاتِ- مَظاهِر النّمُوّ واختِلالاتهِ، فَيقولُ: « ويتجَلّى ذلِكَ في مُستَوى تأخُّر النُّموّ بصِفةٍ عامّةٍ، وخاصّةً نُموّ الذّكاءِ، كمَا يحصُلُ في مُستوى التَّحصِيل الدّراسيّ..» . ويَبدُو أنّ المَوضُوعَ كانَ مُوجّهًا لتَكوِين المُمرّضينَ، فيقُول:« ولا يخفَى أنَّ الطّفلَ المَريضَ في المُستشفَى أحْوجُ ما يَكونُ إلى الحُبّ والرّعايةِ العَاطِفيّة، لِكي لا تَحدُثَ له اضطِراباتٌ عَاطِفيّةٌ ووُجدَانِيَّة تُؤثّرُ فِي نُموّهِ النَّفسِي – الجِسمِيّ بصِفةٍ عامَّةٍ.. وانطِلاقًا مِن هَذا، فإنَّ المُمرّضَ يجِدُ نَفسَهُ مُضْطرًّا لأدَاءِ دَورِ الأبُوّةِ والأُمُومَةِ..» .

4.4- حَاجَاتُ تَقدِير الذَّاتِ:

يعيشُ فِيه. ويَبدُو أنّ هذَا الصِّنفَ مِن الحَاجاتِ أبرَز ما يكونُ مَطلوبًا مِن الفَرد، في مَرحَلة المُراهَقةِ. ويتجَلّى ذلكَ مِن خِلال وَصفِ خصَائِصِها النَّمائِيّة، حَيثُ يَبدأ فِيهَا الجِسمُ بالنُّموّ بسُرعَةٍ مُذهِلةٍ، عَقِبَ فَترَةٍ طويلَةٍ مِن النُّموّ الهادِئ، عِندَ الثَّانِية عشَر مِن عُمرِه، وتَظهَرُ الصِّفاتُ الجِنسِيَّةُ، كما تتَميَّزُ بِنُضجٍ في النُّموّ العَقليّ، وتُصبِح القُدرَاتُ اللّفظِيّة والعَدَدِيّة أكثُر دِقَّةً، وتَنمُو القُدرةُ عَلى التّعلُّم واكتِسَاب المَهَاراتِ، وحَلّ المُشكِلاتِ المُعقَّدةِ.. الأمرُ الّذي يُعطِي المُراهِقَ إعتِدادًا بنَفسِه، ويَرفُضُ أن يُعامَلَ كطِفلٍ. ثُمّ يَزدادُ النُّموُّ بَعد الخَامِسة عَشَر مِن العُمرِ، فيَصِلُ إلى قِمّة النُّضجِ الجَسدِي، بحَيثُ يبدُو كَرجُلٍ تامّ النُّضُوجِ.. كمَا يؤَدّي الانتِقالُ عبرَ مُستَوَياتِ الدّراسَةِ إلى زيَادةِ الثّقةِ بالنَّفسِ، والشُّعور بالأهَمّيّةِ وتَوسِيع الأفُق والنّشَاط الاجتِمَاعِيّ، وتُلاحَظُ النَّزعَةُ إلى الاستِقلالِ الاجتِمَاعِيّ، والانتِقالُ مِن الاعتِمَادِ عَلى الغَير إلى الاعتِمَادِ عَلى النَّفسِ، والمَيلُ إلى النّقدِ والرَّغبَة في الإصْلاحِ، وتقويم التّقَالِيدِ السَّائِدة فِي ضَوءِ الخبرَاتِ الشَّخصِيّةِ، ويَزدادُ الوَعيُ بِالمكانَةِ الّتي ينتَمِي إليهَا الفَردُ. وكلُّ ذلكَ يَصبُّ في تَقدِير الذّاتِ وشُعور الفَردِ بِقِيمَتِهِ.. وكمَا يُشيرُ عصفُور، وصفِي 1999 تَنشَأُ المُشكِلاتُ التَّوافُقِيّةُ عندَما يُخفِقُ الفَردُ في إشبَاعِ حَاجَاتِهِ (أبو جادو 2000، 97)..

5.4- **حَاجَاتُ تَحقِيق الذَّات**: (أو مَرحلَة الدّوَافِع العُليا) Self-actualization

إنّ تَحقِيق الذَّات، يَكونُ بِما أشَرْنا إليه، مِن قُوّة، وإنجَاز، وبِما يَرى المَرءُ أنّهُ جَدِيرٌ بِه..

ونلاحظُ أنَّ **ماسلُو** نَفسُه، يَستبعِدُ أن يَصِلَ كثيرٌ مِن الأفرَادِ إلى مُستَوى تَحقيقِ الذَّاتِ لأسبَابٍ، مِنهَا:

أنَّها أقلُّ إلحَاحاً، ولا تُمثِّلُ تَهدِيداً لِوجُود الفَرد؛ مِثل الحَاجاتِ الفيزيُولوجِيّة، وحاجَاتِ الأمنِ. وأنّ تَحقيق الذَّاتِ يتَطلَّبُ تَقدِيراً واقعِيّاً لهَا، وهذَا ما يَفتقِدهُ البَعضُ. وأنَّ السِّياقَ الثقَافِيّ والاجتِمَاعِي، قَد يُعيقُ تَحقِيقَ الأفرَادِ لذَواتِهم، بما يَتضمَّنُه مِن مَعايِير.. ومِثالُ ذَلك، أنَّ الفردَ يَرى تَحقيقَ ذَاتِه فِي النَّجاحِ في مِهنةٍ قد تُخَالِفُ بَعضَ مَعايِير المُجتَمع. كمَا أنَّ تَحقِيقَ الذَّاتِ قد يُصبحُ عامِلَ تَهديدٍ لِحاجَاتِ الأمْنِ (عسيرى، 2003، 43). فمُمَارسَةُ هِوايةِ تسلُّق الجِبَال أو الأبرَاج، قد تُهدِّدُ الحَاجَة للأمنِ عَلى الحَياةِ، لمَخَاطِرِها. يقول الإمام ابن القَيّم رحمَهُ اللهُ (1292 - 1350): " أجمَع عُقَلاءُ كُلّ أمَّةٍ، على أنَّ النعِيم لا يُدرَك بالنَّعِيم، و أنَّ مَن آثَر الرَّاحة فاتَتهُ الرّاحةُ، و أنَّ بحَسبِ رُكوبِ الأهوالِ واحتمالِ المَشاقّ، تكونُ الفَرحة واللذّةُ، فلا فَرحة لِمَن لا همَّ له، ولا لذّةَ لِمَن لا صَبر له، ولا نعِيمَ لمَن لا شَقاء له، ولا راحَة لِمَن لا تعَب لهُ، بل إذا تعِبَ العَبدُ قَليلاً استَرَاحَ طويلاً، و إذا تحمَّل مَشقّةَ الصَّبرِ ساعَةً قادَهُ لِحَياةِ الأبَد، وكُلُّ ما فِيه أهلُ النَّعِيم المُقِيم فَهُو صَبرُ ساعَة".

وقد قال الشاعرُ العربيّ، المُتنبّي (915 – 965):

[ذِكْرُ الفتى عُمْرُهُ الثّاني، وَحاجَتُهُ.. مَا قَاتَهُ، وَفُضُولُ العَيشِ أشغَالُ]

[لا يُدرِكُ المَجدَ إلاّ سَيّدٌ فَطِنٌ . . لِمَا يَشُقُّ عَلى السَّاداتِ فَعّالُ]

[لولا المَشقّةُ سادَ النّاسُ كُلّهُمُو . . الجُودُ يُفقِرُ و الإقدامُ قتّالُ]

ومِنَ الوَاضِح أنَّ هَذا الصِّنفَ مِن الحاجَاتِ يُلحُّ عَلى الفَرد فِي مَرحَلةٍ مُتقَدِّمَةٍ مِن العُمر. ويَدُلُّ عَلى ذلِك، أنَّ الّذِين شَمِلتهُم دِراسةُ **ماسلُو**، تجَاوزُوا مَرحلَة الشَّبابِ أو المُراهقَة بمَراحِل، وأنّهُ استَبعدَ أن يَصِلَ أحدٌ ما لِتحقِيق ذَاتِهِ قَبلَ مَرحَلةٍ مُعيَّنةٍ مِن حَياتِه. فالتّرتِيبُ الّذِي يُراعِي فَتراتِ الحَياةِ لدَى الإنسَانِ فِي تلبيةِ مُستَوياتِ الحَاجَاتِ جَليٌّ وَاضِحٌ هُنا، فتَحقِيقُ

الذّاتِ مَثلاً، لا يُتصوّرُ-حسْبَ النَّظريّةِ- فِي فَترةِ الطُّفولةِ المُبكرَة الّتِي تَرفعُ فِيها رأسَها حَاجَاتُ الأمنِ، أو فِي مَرحلَة التَّمدرُس، حيثُ تظهَرُ حَاجاتُ الحُبّ والانتِماءِ..

اتّبعَ **مَاسلُو** مَنهجًا إكلينِيكيًّا، أو بتَعبيرٍ أدَقّ؛ فِينُومِينُولوجيًّا (ظاهِرتيّا) لإبرازِ هَذا المُستَوى مِن سُلّمِ الحاجَاتِ. وهذِه المَرحلةُ -ومَنهَجُ دِراستِها- يَجعلُه مُتميّزًا فِي فَهم ودِراسَةِ الشَّخصِيّةِ الإنسَانِيّة. فهُوَ لا يَنظرُ إليهَا - كما فعلَ **فرُويد** ومُختَصُّو التَّحليل النَّفسِيّ- مِن خِلال مَرضِها وضُعفها وتفكُّكِها وصِراعَاتِها.. ولَكِن، مِن خِلال الصِّحَّةِ؛ أيْ مِن مَنظُور اكتِمَالِهَا وتفوُّقِهَا.. وهُو أحَدُ مُؤسِّسي المَدرَسةِ الإنسَانيّة-الظاهِرتِيّة، الّتِي مَدارُهَا حَولَ تَحقيقِ الذَّاتِ.

اختارَ **مَاسلُو** فِي تِلك السَّبِيل مَجمُوعةً مِن الأشخَاصِ الّذِين تَمكّنُوا مِن تَحقِيق ذَواتِهم.. ويُمكنُ اعتِبارُهم فِي قِمّةِ هَرم النّمُوّ والاكتِمَال الإنسَانِيّ، بِحيثُ حَقّقُوا إمكانَاتِهم إلَى أقصَى مَداهَا.

شَمِلت الدِّراسةُ بعضَ مُعاصِريهِ مِن أمثال **ألبيرت اينشتاين، وإليانُور روزفلت،** وألبَرت **شفِيتز**، وكَذلك شَخصِيّاتٍ تَاريخيَّةً؛ مِثل **أبراهَام لينكُولن، وتُومَاس جِيفرسُن، وبِيتهُوفن، ووليَام جِيمْس، وجَان آدامْز، وبارُوخ سْبِينُوزا**..

ومِمَّا يُثيرُ التَّسَاؤُلَ فِي هذَا السِّيَاقِ، بالنَّظَر للشَّخصِيَّاتِ مَحلَّ دراسَتِهِ، ألاَ يُمكِنُ للفِئاتِ المُثَقَّفَةِ والمُتعلِّمةِ، والأساتِذَةِ والأطبّاء، وأصحَابِ المُقَاولاتِ والتُّجَّار، وأصحَابِ الحِرَفِ، والفَلاحينَ، وحتَّى رِجالٍ ونِساءٍ مِنَ العَامّةِ فِي المُجتَمعِ، ألا يُمكِنُ هَؤلاءِ أن يُحَقِّقُوا الذّاتَ؟ بعدَ مَا يُعَيِشُوا مِن التّجرِبَةِ وخِبراتِ الحَياةِ، ما يُؤتِيهم بِهِ اللهُ مِن الحِكمَةِ (يُؤتِي الحِكمَةَ مَن يَشَاءُ ومَن أُوتِيَ الحِكمَةَ فقَد أُوتِيَ خَيرًا كَثِيرًا) الآية 269، سورة البَقرة. ولا تُعمَّمَ نتَائجُ دِراسَةٍ ما، إلا بَعدَ اخْتِبار عنَاصِر مُجتَمعِ الدِّرَاسةِ فِي عيّنَةٍ تمثِيليّةٍ.

سِمَاتُ الّذِين وصَلُوا إلى تَحقِيق الذَّاتِ:

اهتمّ **ماسلو** كثيرًا بسِماتِ الّذين يُحقّقُون ذَواتِهم. فاسْتَخدمَ المُقابَلاتِ، ومُلاحَظاتِ السُّلوك، ودِراسَة السِّيَر والسِّيَر الذَّاتِيّة. فَاستَخرجَ عَددًا مِن سِمَاتِ الشَّخصِيّةِ الّتي رَأى أنّها

تُميّز أولَئِك الّذِينَ وَصلُوا إلى مَرحَلةِ تَحقِيقِ الذَّاتِ وتكامُل الشَّخصِيَّة. نَذكرُها بإيجَازٍ، فِيما يَلي:

1- الاتّجَاهُ الوَاقِعِيّ: أو الإدراكُ السَّلِيم للوَاقِع، والعَلاقةُ المُناسِبَةُ مَعهُ، والتّنبُّؤُ بأحدَاثِه، ورُؤيَةُ الأحدَاثِ كَما هيَ، وليسَ ذلكَ بالضَّرورةِ لقُدُراتٍ فَائقةٍ لدَيهِم، ولكِنّهُم تَخلّصُوا مِن الأحكَامِ المُسبقَةِ، ومِنَ التّعصُّبِ والشَّوائِبِ الذَّاتِيّةِ، وهُم يتَحمّلُون الغُموضَ، ولدَيهِم قُدرةٌ على تقبُّلِ الآخَرينَ كمَا هُم.

2- التِّلقائِيّةُ والبَساطَةُ والطَّبيعِيّة: فهُم لا يَخافُونَ أن يكُونُوا أنفُسَهم، ويثِقونَ في مَشاعِرهم وسُلوكِهم نَحوَ الآخَرين.

3- القُدرَةُ عَلى التّمَركُز عَلى المَشاكِلِ، بدَلَ التَّمَركُز حَولَ ذَواتِهم.. يَغمُرهُم إحسَاسٌ بالرّسالَةِ في عَملِهم.

4- الحاجَةُ إلى الخُصُوصِيَّة: فهُم يَرغبُونَ فِي الوحدَةِ، الّتِي تَجعَلُهم يَعرفُون أنفسَهُم بِشكلٍ أحسَنَ. ولا يَعتمِدُون على الغَير في عَلاقاتِهم.

5- الاستِقلالُ والتَّوجِيهُ الذّاتِي، ونَوعٌ مِن الاكتِفاءِ بالذّاتِ.

6- عَدَم الاستِسْلام للعَادَة، ولا يأخُذونَ الأمُور كمُسَلّماتٍ، مهْمَا طالَ احتِكاكُهم بها، فرُؤيتُهم وتَقدِيرُهم في تَجدُّدٍ مُستمِرّ، دُون نمَطيّةٍ جَامِدةٍ.

7- القُدرَة على التّعَاطُفِ، والتّوحُّد بالآخَرينَ، وبالإنسَانِيّةِ جَمعَاء.

8- القُدرَة عَلى تَكوِين عَلاقَاتٍ عَمِيقةٍ وقوِيّة.. لكِنْ، مَع أشخَاصٍ قَلِيلينَ، ويُفضّلُونَها عَلى عَلاقاتٍ كَثيرةٍ ووَاسِعةٍ وسَطحِيّةٍ.

9- رُوحُ المَرح لدَيْهِم ذاتُ طَابع فلسَفِيّ لا عُدوَانِيّ. ويَمزجُون الجِدَّ والتّرويحَ، فِي صِيغةٍ غَير مُصطَنَعةٍ. مَع الولُوع بالابتِكَار ورُوح الإبدَاعِ.

10- الاتّجاهَات الدّيمُوقرَاطِيّة، فَهُم يَحتَمِلُون الاختِلافَ الدّيني، والعِرقِيّ، والطّبَقِيّ، والمِهني، والعُمُري.. مَع احترامِ الرّأيِ الآخَر، والإيمَان بِتفاعُل الآرَاءِ مِن أجلِ الحَقِيقةِ، والقُدرَة على تَجاوُز الاستِقطَابِ الثُّنائي لِلقضَايَا، وعلى تَجاوُز فرُوق الثّقافَاتِ، وعدَم التّقَولُب فِي الثّقافةِ السَّائِدةِ (hilgard and all. 1980).

6.4- **الحَاجَةُ إلى تَجَاوُز الذَّات:**

مِن مَنظُور المدرسة الإنسَانِيّة، فإنَّ الإنسَانَ في مرَاحِلِ نُموّهِ يُنظَرُ إليهِ بنَظرَةٍ إيجابِيّةٍ، وليسَ كسلّةِ أعرَاضٍ. فلمَّا نَعرفُ خصَائِصَ مَرحلةُ الشّيخُوخَةِ في علمِ نفسِ النّمُوّ، نجِدُها تُبرّرُ بقُوّةٍ، اعتِبارَ الحاجة إلى تَجاوُز الذَّات -كما شَرحَها **ماسْلو**- مُناسِبةً هَذِه المَرحلَة، فقَد تَعرَّضَ لها **ماسلُو** فِي المَرحَلةِ الأخيرَةِ مِن بَحثِهِ، الّذِي نَشَرهُ فِي الطَّبعةِ الثّانيَةِ مِن كتابِه، وأشارَ غيرُ وَاحدٍ مِن الباحثِينَ أنَّ **ماسلُو** في أوَاخِر عُمرِه، أضافَ مُستَوى أخيرًا لِهرَم الحَاجَاتِ، يَرى أنّ قِلّةً مِن النّاس تَرتقِي إليهِ، سمَّاهُ Self transcendance والّذِي يُمكِنُ أن يُتَرجمَ بعِبَارة " تجاوُز الذّات" أو "تَعالِي الذّات".

في كتابِ **ستيفن**، آر. **كوفي** 1989 الّذِي باعَ أكثرَ مِن 15 مليُون نُسخة قبلَ سنة 2010، وتُرجِمَ إلى لُغَاتٍ عِدّة، نقرأُ ما يلي (ص 29):

" وحتّى أعظمُ عُلمَاء النّفسِ **أبراهام ماسلُو**، فَقدْ وضَعَ في أوَاخرِ حَياتِه، سَعادَةَ ونَجاحَ واِسهَاماتِ خُلَفائِه في المَرتبَةِ العُليَا فوقَ تَحقيقِ ذَاتِه في هَرَم الاحتِيَاجاتِ، وأطلَقَ عليهِ؛ **مَا وَرَاءَ الذّاتِ** (تَجاوُز الذّات)، وأنَا أعتَقِدُ أنّ هَذا صَحيحٌ. فحتّى الآن، كانَت أهمُّ تأثيرَاتِ المَبادِئ المُجسَّدَةِ في هَذا الكِتابِ (العَادات السَّبع) وأكثرُها إشبَاعًا مُستقاةً مِن حيَاةِ أولادِي وأحفَادِي.."**.**

والّذِي لا خِلافَ حَولَهُ، أنّ الفَردَ في حَياتِه عُمومًا، وفي نَشَاطهِ المِهني يَتنافَسُ مَع غَيرِه، وقد يَعتبرُ مَجالَ عمَلِه حَلبةً للصِّراعِ، وتَحدُوهُ رُوح التّحَدّي والرّغبةُ في التّفَوُّقِ والأثَرَة. ومَع ذلِك، فإذَا صَارُوا آبَاءً، فإنَّهُم يُقِرُّونَ أنّهُم يَجِدونَ الرِّضَا الكَامِلَ حينَ يَغشَى أولادَهُم مِثلُ ما هُم فِيهِ مِن السَّعادَةِ، إن لَم يَكُن أكثَر (عدّاد، حسَن 2018 ص 83).

يَنقُلُ **كوفي، ستيفن، آر** 1989 عن **مالكُوم ماجريدج**، في كِتابِ **"شَهادَة القَرنِ العِشرِين"** A Thwentieth-Century Testimony قَولَه:

« اليوْمَ، لمَّا أنظُرُ إلى حَياتِي المَاضِيةِ، حَيثُ كُنتُ في بَعضِ الأحيَانِ أفعَلُ ما يَطرَأُ على ذِهنِي فَحَسْب، أكتَشِفُ أنَّ مَا كُنتُ أراهُ رائِعًا ومُغرِيًا بالأمسِ يَبدُو لِي عَبثًا وبِلا قيمَةٍ اليومَ. فعَلى سَبيلِ المِثالِ؛ كُلّ النَّجاحَاتِ الّتي حَقّقتُها، مِثلَ كَوْنِي مَعرُوفًا، أو أحْضَى بثَناءِ الآخَرينَ، ومِثلَ

كَسبِ المَالِ وإثارَةِ إعجَابِ شَخصٍ ما، أو السَّفَر في طُولِ الأرضِ وعَرضِها، وتَفسِير كُلّ الأفكارِ الهَزليّةِ.. عِندَما تَتأمّلُ مَاضِيكَ، سَتَكتشِفُ أنَّ كُلّ ما تفعَلُهُ لإسعَادِ ذَاتِكَ ما هُو إلاّ خَيَالٌ ووَهمٌ، أو ما يُطلِقُ عليهِ **باسكال**: لَعقُ الأرضِ..» .

وهذِه سُنّةُ الحيَاةِ الّتي لا تتَغيّرُ، يَزدادُ المَرءُ خِبرةً بالحَياةِ، وتترَاكمُ تَجاربُه، فيَسقُطُ الزّيفُ، وتتَجَلّي أمامَهُ الحَقَائقُ، فَيَضمُرُ مَجالُ أنَانيّتِهِ، ويتَخلّى عَن طَلَبِ المَزيد لنَفسِهِ، ويُحرّكُه دافِعٌ لم يكُن يَخطُرُ على بَالٍ؛ تَجاوُزُ الذَّاتِ، وخِدمَةُ الغَير ورَغبةٌ في التَّوَاصُلِ مَع الإيمَانِ الدّيني، أو ما يُدرَكُ أنّهُ رَبّانيّ.. (ومَا الحَيَاةُ الدُّنْيا إلاّ مَتَاعُ الغُرُور) سُورَة الحَدِيد، الآيَة 20.. إنّهُ نوعٌ جديدٌ مِن الخِبراتِ سَمّاهَا **ماسلو** "خِبرَات القِمَّة".. وليْسَ مَن رَأى كمَن سَمِعَ، و"مَن ذاقَ عَرَف".

إنّ الوَصفَ الّذِي قدّمَهُ لهَذا المُستَوى مِن الدَّافعِيّة، يَتمثّلُ في جُزئيْن:

1- بَحثُ الكَائِن البشَريّ لدَفعِ قَضِيّةٍ تتَجاوزُه هُو نفسُه (seeks to further a cause beyond the self) وتضُمُّ وضْعَ نَفسِهِ في خِدمَةِ الغَير، أو الإخْلاصَ لِمبدَأ أو قضِيّةٍ؛ مِثل العَدالةِ الاجتِمَاعِيّة، أو البِيئَة، أو الإيمَان الدّينِيّ، أو البَحْث العِلمِيّ، و/أو رَغبَة فِي التَّواصُلِ مَع ما يُمكنُ أن يُدرَكَ كمُتعَالي أو رَبَّانِي (transcendant ou divin).

2- بَحثُ الكَائِن البَشري عَن تَجريب تَواصُل communion يتَجاوَزُ حُدودَ الذّاتِ بوسَاطةِ خِبرةٍ (معَاش شَخصِيّ) قويّةٍ، الأمرُ الّذِي يُمكِنُ أن يضُمَّ تجَاربَ صُوفِيّة، جنسيّة، بين شَخصِيّة، أو تجَارب مَع الطّبِيعَة، يُعبّرُ فيهَا الشّخصُ عَن شُعورٍ بالهُويّة يَتعَالى، أو يَمتدُّ إلى أعلَى مِن ذَاتِه.

إنّ الشُّكوكَ الأُولَى حَوْل مَعرفَة مَا إذَا كانَت حاجَاتُ تَحقِيق الذّاتِ هي " أعلَى" مُستوى فِي هرَم الحاجَاتِ، الّتي ظهَرَت عِند **ماسْلو** بَدءً مِن نهَايةِ سَنوَات الخَمسِين، وبِدَايةِ سَنوات السِّتّين ذاتُ صِلةٍ بظَاهِرة التّجربَة الارتِعَاشِيّة paroxystique. في البِدَايةِ، فقد سَمَّى هذِه التجَارب قِممًا تتعلّقُ بشكل الوَعي prise de conscience(Being cognition).

ابتداءً مِن1961، بَدأ يتَصوّرُ أنّ هذِه " Being cognition " مُتعلِّقةٌ بمُستَوى دَافعِيَّةٍ مُختلِفٍ عَن الحَاجةِ الأخِيرَة السَّابِقة في الهَرم (تَحقِيقُ الذَّات).

ابتِداءً مِن 1967 اعْتبرَ **ماسلُو** حاجَةَ تَحقِيق الذَّاتِ مُتميّزةً عَن حَاجةِ الإنجَاز accomplissement de soi. سيُوضِّحُ رَسميًّا هَذا المَوقِفَ في 1969، مُؤكِّدًا أنَّ الكائِنَ البَشريَّ المُكتمِلَ فِي تَطوُّرِهِ يتّجِهُ لِيكُونَ مَدفوعًا بقِيمٍ تتَجاوَزُ ذاتَهُ.

يَبدُو أنّ دِراسَة **ماسلُو** المُتعمِّقةَ أوصَلَتهُ إلى نَوعٍ خَاصٍّ مِن الخبرَاتِ، وَجَدَها عِند مُعظَم مَن شمِلهُم بحثُه، اعتُبِرَت سِمةً لهُم، سَمّاهَا "**خبرَات القِمَّة** " Peak experiences .

يرَى باحثُون أنّ هَذِه الخبرَاتِ ليسَتْ اكتِشافًا جَديدًا، بل عُرِفَت منذُ القدِيم، وسُمِّيَت بأسمَاءَ مُتباينَةٍ؛ مِثل الخبرَات الصُّوفِيّة mystic experiences أو خبرَات الوَعْي الكَوني cosmic consciousness أو الخِبرَات المُتَسَامِيَة transcendental experiences ولكِن، يَعتبرُون أنّ الفَضلَ يَرجعُ إليهِ في إخضَاعِها لدِراسَةٍ فِينومينُولوجِيَّة مُعمّقَةٍ ووَاسِعَةٍ.

وُجِدَت مُحاولاتٌ كثيرةٌ لِوصفِ هذَا النّوعُ مِن الخبرَاتِ، بِعبَاراتٍ، مِثل:

- الإحسَاسُ بالنّشوَةِ الغَامِرة.
- الرُّؤيَة الشّفّافَة للوُجُود.
- المَعرفَة الكُلّيّة.
- الإحسَاسُ بالتّوحُّد مع الكَون.

واتّفقَ الخَاضِعُون للبَحثِ، أنّهَا خِبرةٌ حَيّةٌ، يَصعُبُ أن تُجسّدَها الكلِمَاتُ، ولا يَعرفُها إلاّ مَن مَرَّ بِها، كمَا يَقولُ المُتصوّفةُ المُسلمُون: "مَن ذاقَ عَرَف". وهِي حالةٌ "أشبَهُ بالشُّهُود الإلهِيّ"، وهِي تَجربةٌ " شَدِيدةُ التّأثِير، إلى دَرجةِ أنْ تتَغيّرَ بِها شَخصِيّةُ الإنسَانِ كُلّيّةً، وإلى الأبَد"، كما قال **مَاسلُو**.

هِي خِبرةٌ يَمرُّ بِها هَؤلاء العُلمَاءُ أو الشَّخصِيّاتُ التّاريخِيّةُ في المُجتمَع الغَربِيّ -فيمَا أرى- لأوقاتٍ قَصيرةٍ وغَير دَائمةٍ، وتُحرّكُ - فيمَا يبدُو- مَشاعِرَ القَلبِ العَميقَة، وتَصِلُ إلى الفِطرَةِ المُشرِقَةِ المكنونَة فِيه، المَوصُولةِ باللّهِ الرَّحمَان الرَّحِيم، الّتِي غَطّتْ عَليها رَواسِبُ

المَادِّيّة، ونوَازِعُ المُيول النَّفسِيَّة الّتِي نَشأوا عَليهَا في ظُروفٍ خَاصّة بهذَا المُجتَمع، فِي تِلك الحِقبةِ الّتي أعقبَت فَتراتِ الصِّرَاع مَع الكنِيسَة ورِجَال الدِّين، والّتِي أفْضَت إلى ذَلك الفِصَام النّكِد بينَ الجَانِب المَعرفِيّ القَائِم على المَنهَج التَّجريبِيّ والبَحثِ الأمبريقِي، والجَانِب الرُّوحِي أو الدِّينِي الثِّيولُوجي، القائِم في جانِبٍ عَلى غَيبيّاتٍ ليسَ لدَيْهِم أدَواتُ فَهمِهَا وكَشفِها، فابتَعدُوا عَنه في بُحوثِهم، وفي كُلِّ شُؤونِ حَيَاتِهم!..

خرجَ **ماسلُو** مِن هَذا، بِتَصوّرٍ لِما أسْماهُ مَرحَلة الكينُونة Being بوَصفِها مَرحَلة يتَجاوزُ فيها تَحقِيق الذَّات، مِن التَّواجُد في أعلَى مُستوى وُجودِي إنسَانِيّ.. مَرحَلة تَحقِيق الغَاياتِ بالفِعل، وليسَ مُجرَّد السَّعْيِ مِن أجْلِها أو المُكابدَةِ في سَبِيلهَا. يَعيشُ فِيها الإنسَانُ - بالفِعل- قِمّةَ خبرَاتِ المَعرفَة، ومَشاعِر الحُبّ، واكتِمَال السُّلوك، وتتَحَقّقُ فِيها القِيمُ العُليا؛ مِثل الكُلّيّة.. والجَمَال.. والتفرُّد.. والصِّدْق.. والبسَاطَة.. والعَدْل.. والحُرِّيَّة، والاسْتِقلال الذّاتِي.

وبالرَّغم مِن النُّدرةِ الشّدِيدَةِ في تَحقِيق هَذِه المَراحِل العُليَا تَحقيقًا مُكتَمِلاً، والصُّعوبَةِ الشّدِيدَةِ الّتِي تَحُفُّ هَذا المَسار، فإنَّ **ماسلُو** قد بيّنَ في دِرَاستِهِ أنّها كَمِثالٍ، لا تَقعُ في مَنطقَةٍ مِن صُنعِ خَيالِ الإنسَانِ وأحْلامِه، وإنّما هِي وَاقعٌ حَقِيقيٌّ، يُمكنُ أن يَصِلَ إليهِ البَعضُ.. مَهمَا كانَ عَددُهُم قلِيلاً. أبراهام_ماسْلو (https://ar.wikipedia.org/wiki/)

4- حَول مُبرّرات عَدم شُيُوع مُستَوى " تَجاوُز الذَّات" لِنظَرِيَّة تدَرُّج الحَاجاتِ لمَاسلُو:

أسْئلَةٌ تتَبادَرُ إلى الذِّهنِ عِندَ الاتّصالِ بهَذا المَفهُوم الجَدِيد، الّذِي بقِيَ غَيرَ بَارزٍ كُلَّ هَذِه السّنِين. ويُمكنُ أن يُطرحَ السُّؤالُ التّالِي: لمَاذا اشتَهرَت نظَرِيّة **ماسلُو** دُونَ هَذا المُستَوى مِن الحَاجاتِ "**تَجاوُز الذّات**" الّذِي يَكتشِفُه كثيرٌ مِن القُرّاءِ لأوّلِ مَرّةٍ، إضافةً إلى حاجَتَينِ أُخرَيَين؛ الحاجَةِ إلى الجَمالِ، والحاجَةِ إلى المَعرِفَة اللّتَين ذكَرهُمَا **مَاسلُو**، ولم يَتبيّنْ له وَجهٌ يَجزِمُ به، ليُحدّدَ لهُمَا مَحَلاً مُناسِبًا في السُّلّم؟

قدَّمَ الدّارسُونَ عَناصِرَ الإجابَة الّتِي سَنَذكُرُها، ونُناقِشُها، فِيما يَلِي:

لَقِيتْ النَّظريّةُ بالشّكلِ الجَديدِ مُقاومةً لدَى عُلمَاءِ النَّفس في تِلكَ الفَترة، وقُدِّمَت عِدّةُ أسْبابٍ لتبْرِير أنَّ "هرَم **ماسلُو**" لم يُعدَّل بِدلالةِ أعمَالِه الأكثَر جِدّةً. نَذكُر مِن تلكَ التَّبريرَاتِ ونُناقِشُها، فِيما يَلِي:

1- لم يَكُن لدَى **ماسلُو** الوَقتُ ولا الفُرصَةُ لنَشْر وتَوصِيل أعمَالِه العِلمِيَّة الأخِيرَة. فعُهدَتُه بصِفتِه رئيسًا لجَمعِيَّةِ عِلم النّفس الأمريكِيَّة APA وَصَلت إلى نِهايَتِها، في الوَقتِ الّذِي أخذَتْ أعمَالُه النَّظريّةُ شكلَهَا النِّهائِيّ في مُنتصَفِ 1967، أي قبلَ وَفاتِه بِثلاثِ سَنَواتٍ، وكان **ماسلُو** في السَّنواتِ الأخِيرة مِن عُمرِه مَريضًا (مَشَاكِل تاجِيّة، في القلب)، ثُمّ في فترةِ نقاهَةٍ، في سنة 1968.

ويَبدُو لِي أنَّ هَذِه حُجّةٌ وَاهِيَةٌ. كيفَ، وقد تطَوّرَت وَسائِلُ الطَّبْعِ والنَّسخِ، ونُظُم الاتّصَالاتِ، وانتَشرَت المَعرِفةُ على نِطاقٍ واسعٍ، وتَلاقَى البَاحِثُون في مُؤتَمَراتِ جِهويّةٍ ودَولِيّةٍ، ونُشِرَت البُحوثُ في المَجلاّت العِلميّةِ بلُغاتٍ مُتعدِّدَة، وازدَهرَت حركَةُ التّرجَمةِ.. فَكيفَ تَنتَشِرُ أعمَالُه في الأربَعيناتِ مِن القَرنِ المَاضِي، ويَتلقّفُها أعدَادٌ مِن الباحِثينَ في أصقَاعِ الأرضِ، بِحيثُ لا يَكادُ يَجهَلُها أيَّ طالِبٍ في عِلم النّفسِ والعُلوم الإنسَانِيَّةِ والاجتِمَاعِيّة، وكَذلِك أعْمَالُ مُعاصِريهِ الّتي نَدرُسُها اليومَ، بَل وأعمَالُ مَن سَبقوهُ، ولا تُنشَرُ أعمَالُهُ اللّاحِقَةُ - وقد صارَ ذائعَ الصّيتِ- بعدَ ذَلِك بعَشَراتِ السّنينِ؟

2- الواقع المُؤسّسَاتِي آنذَاك لَم يكُن مُستعِدًّا لإدمَاجِ هَذا المُستَوى الأخِير الَّذِي اعتُبِرَ ذَا طابع أكثر رُوحانيّة مِنهُ نفسانِيًّا (لم يكُن بَعدُ علم النّفس البين شخصي؟ transpersonnelleمُدرَكًا بِصفَتِهِ ذي مَشرُوعيّة كامِلةٍ).

والواقِع، أنّ لَيلَ الصّراع بينَ العُلمَاءِ ورجَال الكَنيسَةِ في قُرونٍ خَلت، أرخَى بسُدولِه عَلى الحَياةِ العِلمِيّةِ في المُجتَمعات الغَربيَّة إلى يَومِ النّاسِ هَذا، بِحيْثُ أفرَزَ فِئاتٍ كَثيرةً، هُم غُلاةٌ مُتطَرّفونَ في الحَساسِيّة لِما لهُ أبعَادٌ دِينِيّة، فَينفرُونَ مِن كلّ ما لهُ صِلةٌ بالدّينِ ويَنحازُون ضِدّهُ، بعُنفٍ، ولو كانَ نتِيجَةَ البَحثِ العِلمِيّ المَنهَجِي. وقَد وَرِثنَا ذلك في جَامِعاتِنا ومُؤسّساتِ المُجتَمع التّربويَّةِ والثقافِيَّةِ والسّياسِيَّةِ.. ويَبدُو لِي أنّنَا لا نَزالُ بَعيدِينَ عَن التّخلُّصِ مِن هذِه الأعبَاء المُرْهِقة، المُضَيّقةِ حتَّى على حُرّيَّةِ البَحثِ..

ومَع ذَلك، فالَّذِينَ يَظهرُ لهُم أهمّيّةُ الدّين في حَياةِ الأفرَادِ والمُجتَمعاتِ، والّذِينَ يَحرِصُون على المَوضُوعِيّةِ في نَقلِ الحقَائقِ كما يَتطلّبُها المَنهجُ الوَصفِي، يَدفَعُون بالّتِي هِي أحسَنُ، فالتّعصُّبُ ضِدَّ الدّين والبُحوثِ المُتّصِلَةِ بِهِ شَديدٌ..

وهُناكَ أصوَاتٌ مِن عُلماءِ نفسٍ غربِيّين وغَيرِهِم مِن أهلِ تخصُّصاتٍ أُخرى، تُعلِنُ أنَّ فِي الإيمَانِ باللّهِ قُوّةً خارقَةً تمُدُّ النّاسَ بِطاقةٍ رُوحيةٍ تُعينُهم عَلى تَحمُّل مَشاقّ الحيَاةِ. وتَدعُو- بِحذَرٍ- إلى العِنايَة بالقِيَم الرُّوحِيّةِ للسَّلامَةِ النّفسِيّةِ، بِناءً على نَتائِج أبحَاثٍ رَصينَةٍ جادَّةٍ، أو مِن الخِبرَة المَيدَانيّة.

- قال **وليَام جِيمس** (1842-1910) William James أوّلُ مُعلّمٍ يُقدّمُ دورَةً في عِلم النَّفس بالولايَاتِ المُتَّحِدةِ: ".. الإيمانُ باللّهِ مِن القُوَى الّتي لا بُدَّ مِن توَافُرِها لمُعاوَنةِ المَرءِ على العَيشِ، وفَقدُهُ نَذيرٌ بالعَجزِ عَن مُعاناةِ الحَياة".
- قال **كارل يُونغ** (1875-1961)، Karl Young المُحلّل النَّفسِيّ: "اسْتَشارَنِي خِلالَ الأعوَامِ الثَّلاثينَ المَاضِيَةِ أشخَاصٌ مِن مُختَلفِ شُعوبِ العَالَم المُتَحَضّرة، وعَالَجتُ مِئاتٍ كَثيرةً مِن المَرضَى.. فلَم أجِد مَريضًا واحِدًا مِن مَرضَايَ الّذين كانُوا في المُنتَصَفِ الثّاني مِن عُمرِهم- أي جَاوَزوا سِنَّ الخَامِسَةِ والثّلاثِين- مَن لم تَكُن مُشكِلتُهُ في أسَاسِها هِي افتِقارُهُ إلى وِجهَةِ نَظرٍ دِينيّةٍ فِي الحَياةِ.. وأستَطيعُ القولَ أنَّهُ لم يَتمَّ شِفَاءُ أحَدٍ مِنهُم إلّا بعدَ أن استَعادَ نَظرَتَه الدِّينيّةَ في الحيَاةِ" (نجاتي، مُحمّد عُثمان 1982 ،240).

3- ضُعفٌ نَظريّ، فيمَا يتَعلّقُ بتَأكِيد **مَاسلُو** أنَّ هذِه الدَّوافِع " العُليَا"، لا يَنبغِي أنْ يَرتقِي إليهَا سِوَى الأشخَاصُ الّذِين حَقّقُوا دَوافِعَهُم الأكثَر قاعِديَّةً (حَيويَّة، أمْن..).

هذَا الضُّعفُ النَّظَريّ مَوجودٌ ووُجِّهت لهُ انتقَاداتٌ ذَات توَجُّه قَوِيّ، بل وللنّظَريّةِ كلِّها، ولكن كَيف يُتّخَذُ ذريعَةً لرَفضِ -أو إخفاءِ- جُزءٍ مِن النَّظريّةِ في شَكلِها النِّهائِيّ.. هَذهِ حُجَّةٌ أوهَى وأضعَفُ.. هَل كانَت هُناك هَيئاتٌ تُحدّدُ الجَوانِب مِن النّظَرِيَّة -أيّ نَظريّة- الّتي لا تَستحِقُّ النّشرَ والدِّراسَةَ، في عَصرِ الحُرّيَّاتِ وتَخلُّصِ المَعرِفَةِ - في الغَربِ- مِن قُيُودِ أيّ سُلطةٍ.. العَصر الّذِي لَم تَنتَشِر الأفكارُ الشّاذَّةُ، والّتِي لا أساسَ لهاَ، في زمنٍ مِثلَ ما انتشَرَت فِيه، دُون رقيبٍ. فالعِبرةُ بالطّرُوحَاتِ الجَادّةِ الّتِي تَصمُد في مُواجَهةِ النّقاش العِلميّ.. ولا خلافَ بينَ البَاحِثين أنَّ غايَةَ البَحثِ العِلمِيّ هو الوُصُول إلى الحَقيقَةِ واكتِشَافُ المَعرفةِ، ويُفتَرَضُ أنَّ كُلَّ ما أدَّى إلى ذلِكَ فَهُو سَبيلٌ صَحيحٌ، مَا دامَ يَخلُو مِن

التَّناقُضِ، ويَستطِيعُ كلُّ أحدٍ أن يتَحقَّقَ مِنهُ (الصّبيح، عبد الله 2011 ص 72). وقَد استَمرَّت دِراسةُ النّظَرِيّة، والبَحثُ في تَطبيقَاتها إلَى اليَوم، بالرَّغم مِن كُلّ الانتِقَاداتِ.

4- مَصدرٌ آخَر للمُقاومَةِ مِن طَرفِ عُلماءِ النّفس الّذِينَ عاصَرُوه، يُرجِعُه البَعضُ إلى كَونِهم هُم أنفسُهُم لَم يَختبِروا مِثلَ هَذه التَّجربة الارتِعاشِيّة paroxistique ، الّتي تُغَيّرُ مَن عَايَشهَا للأبَدِ، وبالتَّالِي " لم يَرتقُوا " إلى هذَا المُستَوى مِن الحِكمَةِ.

وعَن هذِه أيضًا نَقُولُ: لِيَكُن، فَهَل يصلُحُ عدَمُ اختِبار الرُّؤيةِ الشَّفّافةِ والإدرَاكِ المُتعَالِي وخِبرَات القِمَّة.. مُبرّرًا للمُقَاومةِ الّتِي أبْداهَا عُلمَاء النّفسِ آنَذاكَ؟ كثيرٌ مِنَ النّظَرِيّاتِ والحَقائِقِ انتشَرَت في عِلمِ النَّفسِ والعُلوم الاجتمَاعِيّةِ، وغَيرها مِن التخصُّصَات، هَل يُشتَرطُ لها شَرطُ احتِرام المَنهَج العِلمِيّ وحدَهُ، أو المَشاعِر والأحَاسيسِ، و" التّجربة الارتِعاشِيّة"، حَتّى تَكون صالحَةً لِنَشرِها وذُيُوعِها؟!.

إنَّ هَذا يَعنِي أنَّ عِلم النّفس - كسَائِر العُلوم الإنسَانِيّة والاجتِماعِيّةِ - ليْسَ بِمَنأى عَن التّوجِيهِ حَسبَ عَقائِد المُشتَغِلين بِه وتَصوُّراتهِم النَّظريّة ومُنطلقَاتِهم الفَلسَفِيّة، وتأثِيراتٍ أُخرَى إثنِية وثَقافِيّةٍ، ومَوقِفيّةٍ، يُمكنُ أن تُبعدَهُ عَن المَوضُوعِيّةِ المَنشُودَةِ. ويُلاحَظُ ذلِك أيضًا، مِن خِلالِ مَجمُوعة مَجَالات البَحثِ والمَواضِيع المُحدَّدة الّتي شغلَت البَاحِثينَ.

كمَا يَدعَمُ هذَا الاستِنتاجَ ليسَ تعدُّد المَدارس فحَسْب، بل أيضًا اختِلافُها وتنَاقضُها، فقد اعتُبرت المدرَسة الإنسانيّة " القوّة الثّالثة" في عِلم النَّفس الّتي تسعَى لِتجنّبُ سلبيَّات مَدرسَتي السّلُوكيّة والتّحليل النفسِيّ بتركِيزِها – مع " العميل"- على تقوية إرادَته الحُرّة، والدّفاع عن مُعتقداته ومُستقبلِه، ووَضع هدَف أو " مَعنى لحَياتِه" وتَجاوز النَّظرة الآليَّة المِيكانيكيَّة في فَهم النَّفس البشَريَّةِ.. وهذا يحتاجُ إلى مَزيد بَيانٍ.. (وانظر ستورا "الضغط" ص15)..

ويُمكنُ أيضًا، الاستِنتاجُ بأنَّ **ماسلُو** بالرَّغم مِن تَأكيدِه عَلى أهَمّيّة الدّوَافِع العُلويّة، وإضَافة " مَرحلة التّسَامِي" إلى مَراحِل إشبَاعِ الحَاجاتِ، فإنّهُ أغفلَ الجانِب الرُّوحِيّ في بِنية الشَّخصِيّةِ، مِمّا جَعلَ النَّظرَ إلى الشّخصِيّة مُقتصِرًا على الجَوانِبِ المَادّيّة، مَهما سَمَت

وتَعالَت" (عَشوي 2003، ص 324). وفي هَذا تناقُضٌ وتَخبّطٌ واضِحٌ، فهُو لم يَكُن بمَنأى عَن الضُّغُوط الّتي تُمارسُها البِيئةُ العِلميّةُ والفلسَفيّةُ السّائدةُ، حين تَفرِضُ توجُّهاتٍ بَحثيّةً، لا يكونُ مِن السَّهلِ الخُروجُ عَن إطارِها.

خُلاصَةُ القول.. أنَّ نظَرِيّة التَّسلسُل الهَرمي **لمَاسلُو** حول الدَّوافِع الإنسَانيَّةِ، بالرَّغم مِن المَكانةِ الّتي لدَيهَا في علم النَّفس والتّطبيقات الّتِي حاولَ كثيرٌ مِن الباحِثين إثباتَها بها في عِلم النّفس والعُلوم الإنسانيَّةِ عُمومًا، لا سِيمَا في ميدَانِ العمَل والتنظِيم الّذي هُو أحدُ أهمّ مجَالاتِ حَياةِ الأفرَاد، تعرَّضَت لانتِقادَاتٍ كثِيرةٍ ومُتعدّدة ومُتنوّعة، وذلِك لِما تُعانيهِ مِن قُصُور.. هذِه الانتِقادَاتُ فرَضتْ إعادَةَ النَّظرِ في النَّظريَّة، والبَحث عَن صِياغَة تَسُدُّ بِها نَواحِي الفَراغ والنّقص، بدَل الإلقَاءِ بها ورَفضِها تمَامًا. وعَرضُ ذلكَ عَلى البَاحِثين، مِن شَأنهِ أن يُساعِدَ على إعَادة النَّظر في النَّظريَّة واختِبَار صِحَّتِها مِن النَّاحِية العِلميَّةِ والمَنهجِيَّةِ.. وقَد سَبقَ باحثُون إلى هَذا النَّوع مِن الدِّراسَات، بغَرضِ تَمحيصِها، و إيجَادِ مَجالٍ لدَعم النَّظريةِ التِي عَمِل عَليها **ماسلُو** خِلالَ حَياةٍ عِلميَّةٍ جادَّةٍ وطَويلة.. فجَاءَ هَذا العملُ الّذِي يَربطُ سُلّم الحَاجاتِ للدَّوافِع بِمَراحِل النُّموّ عِند الإنسَانِ، والّذِي نَعرِضهُ للنَّقدِ -بِرَحابَة صَدرٍ- على البَاحِثين والدَّارسِين، لعَلّنَا نُوفّقُ فِي سَدِّ الثّغَراتِ التي تُعانِي مِنها، لأنَّ النَّظَرِيّة الّتي يحَاولُ بها الباحِثُون الوصُول بهَا إلى الحَقيقةِ العِلميَّة تَحتاجُ باستِمرارٍ إلَى عَرضِها للتَّمحِيص، ورَفعِ اللُّبس، وسَدّ النُّقص. وذلكَ ما سعَينا للتَّوصُّل إليهِ في هذِه الدِّراسَةِ، نَسألُ اللهَ السَّدادَ والتَّوفيق.

قائمَـة المَراجِع

- أبراهام ماسلو (https://ar.wikipedia.org/wiki/أبراهام_ماسْلو).

- إبراهِيم عِيسَى عُثمَان 2008 **النّظريَّةُ المُعَاصِرةُ في عِلم الاجتِمَاع**. دَار الشُّرُوق، الأردُنّ.

- أبُو جادُو، صَالح مُحمَّد عَلِي 2000 **عِلم النَّفس التَّربَويّ**. دَارُ المَسِيرَة. الطّبعَة الثّانِيَة. عمّان، الأُردُنّ.

- بغُول زُهير، وعَطوي سَعد الدِّين 2017 **الدّافِعِيَّةُ والسُّلوك بَينَ نَظرِيّةِ التّدَرُّج الهَرَمي لمَاسلُو ونَظَرِيَّة العقل الثُّلاثِي لبُول مَاكْلِين**. مَجلّة أبحَاث نَفسِيّة وتربَوِيَّة، قسَنطِينَة. عَدَد 10/ جوَان 2017 ص ص09-28.

- بنْ فرْحَات فتِيحَة 2011 **النّظريات المُعاصِرَة وتطبيقاتُها الامْبريقِيَّة؛ رُؤيَة سُوسيُولوجِيّة للنَّظرِيَّةِ الفِينومِينُولُوجِيَّة والاثنومِيثودُولوجِيَّة**. المُلتقَى الوَطنِي حوْلَ وَاقعُ مَناهِجِ البَحثِ العِلمِيّ في العُلوم الاجتِمَاعِيَّة بالجَامِعَةِ الجَزائِرِيَّة 07-08 ديسَمبر 2011. جَامعَة سَعد دَحْلب، كُلّيَّةُ الآدَابِ والعُلوم الاجتِمَاعِيَّة- قِسم عِلم النَّفس وعُلوم التَّربيَة والأرطُوفُونْيا. البُليدَة. الجَزائِر.

- بن نَبي، مَالك 2001 **مُشكِلةُ الأفكار في العالَم الإسْلاميّ**. ترجَمة أحمَد شَعبُو، وبسَّام بركة. ط 2001. دَار الفِكر. بيرُوت. لُبنان.

- زَهرَان، حَامد عَبد السَّلام 2005 **الصِّحّةُ النَّفسِيّةُ والعِلاجُ النّفسِيّ**، عَالم الكُتب، الطّبعَة 4. القاهِرَة.

- الزّيُود، نَادِر فَهمِي 2008 **نَظريّاتُ الإرشادُ والتّوجِيه النّفسِيّ**. دَار الفِكر، عمان- الأُردنّ.

- كُوفِي، ستيفن، آر.1989، لم يُذكَر المُترجِم. **العَادَاتُ السَّبعُ للنَّاسِ الأكثَر فَعالِيَّة، دُروس فعَّالة حَولَ تَغيير الشَّخصِيّة**. مَكتبة جَرير، الرّياض.

- الصبيح، عبد الله بن ناصر 2011 **تَوظِيفُ التّأصِيل الإسلامِي لعِلم النَّفس لِتدريسِ مُقرَّراتِ عِلم النَّفس**. مجلة إسلامية المعرفة، سنة 17 عدد 65.

- عَبد البَاسط، عَبد المُعطِي 1998 **اتّجاهَاتٌ نظَرِيَّة في عِلم الاجتِمَاع**. عالَم المَعرفَة، (عدَد 44) الكويت.

- عدّاد حَسن 2017-2018 **عِلم نَفس النُّمُوّ والفُرُوق الفَردِيّة**. لطلبَة السَّنَةِ الثَّانِيةِ. مُحاضَرة غَير منشُورَة. قِسم الفِيزِيَاء. المَدرسَة العُليَا لِلأسَاتِذَة. القُبَّة، الجَزائِر.

- عدَّاد، حسَن 2018 **المُختَصَرُ المُفِيدُ لكِتابِ دُستُور الأخلاقِ فِي القُرآنِ.** دِراسَة مُقَارَنَة للأخلاق النَّظرِيّةِ في القُرآن لمُحمَّد عَبد الله درَاز. دارُ الأصَالةِ للنَّشر. المُحمَّدِيّة، الجَزائِر.

- عَشْوي، مُصطفَى 1992 **أُسُس عِلم النّفس الصِّناعي التَّنظِيمِيّ**. المُؤسّسةُ الوَطنِيّةُ للكتاب. الجزائر.

- عَشْوي، مُصطفَى 2003 **مَدخَل إلى عِلم النّفس المُعاصِر**. دِيوَان المطبُوعات الجَامِعيّة. الجزائر.

- الغمري، إبراهِيم 1975 **السُّلوكُ الإنسَانيّ والإدارةُ الحَدِيثة**. دارُ الجَامِعَات المِصريَّة. الإسكندَرِية، مصر.

- لورسي، عبد القادر 2011 **المَسعَى الإبستيمُولوجِي والقَرارات المَنهجِيَّة للفِكر البُوبيري، وإسقاطَاتُها على رَاهِن البَحث في العُلوم الاجتِمَاعِيّة.**المُلتقَى الوَطنِي حوْلَ وَاقعُ مَناهجِ البَحثِ العِلمِيّ في العُلوم الاجتِمَاعِيَّة بالجَامِعَةِ الجَزائِريَّة 07-08 ديسَمبر 2011. جَامعَة سَعد دَحْلب، كُلّيَّةُ الآدَابِ والعُلوم الاجتِمَاعِيَّة- قِسم عِلم النَّفس وعُلوم التَّربيَة والأرطُوفُونْيا. البُليدَة. الجَزائِر.

- نَجاتِي، مُحمَّد عُثمَان 1982 **القُرآنُ وعِلم النّفس.** دَار الشُّروق. جَيّ رابِعَة، مَدينة نَصر، مِصر.

-Hilgard, Ernest, Atkinson, Rita. Traduit par Belanger, David.1980 **Introduction à la psychologie.** Edition Etudes Vivantes. Montréal, Paris.

-Lieury, Alin.2015 **Manuel visuel de psychologie cognitive**.